

«كريا»... التجريب الرائدة

بقلم خيري سليمي

خلف الحوادث المليئة بالانارة والتفاهة ، فقصص عيسى عبيد وامثالهم الطليعة التي كان يتمنى لها ان يتسع المجال امامها ، قصص « مبنية على قاعدة الحقائق الدقيقة الصادقة المجردة » . غير ان عيسى عبيد يلتمس للجمهور عذرا ، ويلقي المسؤولية على النقاد والصحافة ، وقد خصص الجرائد بالذات بالنصيب الاوفى من سخطه ، فلقد كان المجتمع يمر بفترة مضطربة غير مستقرة ، والوقت « مضطرب ومكهر قد قبض فيه على زعيم الامة ووكيلها الشرعي الذي تشرفت باهداء الكتاب اليه وكانت الافكار متهدجة ومدفعة في السياسة والجرائد مشحونة بعرائض سحب الثقة فلم تنوه بكلمة واحدة عن كتاب يخلق نوعا جديدا في الادب المصري المصري وهذا مما يؤسف له كثيرا لانها قصرت تقصيرا مخجلا في اداء اهم واجباها » (٢). كانت القصة اذن في محنة وكان عليه ان يتبنى قضيتها كما تتحقق امينته التي اودعه اهداءه في كتاب احسان هانم. ولانه مؤمن بقضية القصة ودورها ، نراه يلم بكل جوانبها ، ويركزها في ان (٣) الجذب في حقل القصة راجع الى ان التقاليد قصت تقريبا على الاختلاط بين الجنسين ، وان الكاتب المصري لم يتمرن بعد على الملاحظة والتحليل النفسي وهما ملكتان تنموان بالخبرة الشخصية الطويلة ، لذلك ينبغي ان يدرس شخصياته من حيث المزاج والوراثة والبيئة ، فلا بد له اذن من الامام التام بعلم النفس . يضاف الى ذلك ايضا عيوب الكاتب المصري : ضعف ملكة الوصف وميله الى تجميل الطبيعة مع ان الفن هو تصوير الحقائق عارية مجردة ، والتزام الكاتب للمصدق في الوصف سيجنبه تقليدا اعمى لادب العرب القديم ، اي ان عيسى عبيد ينادي بالريالزم بدلا من الابداليزم - بادب واقعي بدلا من ادب وجداني - هذا الادب الواقعي سيجد غذاءه في اداب الغرب كما يجد دفعته الى الامام في انتفاضة سنة ١٩١٩ ، وسيؤدي ذلك الى تكون الادب العربي عندنا بطابع مصري محلي ، اما غاية القصة فيجب ان تكون التحري عن الحياة وتصويرها بامانة واخلاص كما تبدو لنا ، وجمع اكبر كمية من الملاحظات والمستندات بحيث تكون القصة عبارة عن « دوسيه » يطلع فيه القارئ على تاريخ حياة انسان او صفحة من حياته ، ويتخذها الكاتب ذريعة لدرس اسرار الطبيعة البشرية وخفايا القلب الانساني الغامض والتطور الاجتماعي والاخلاقي ، وعوامل الحضارة والبيئة والوراثة - مع التخطيط في ابداء الحكم ، لان مهمة الكاتب هي تشرح النفوس البشرية وتدوين ما يكتشفه من ملاحظات تاركا الحكم في ذلك للقارئ ليستخلص منه المغزى الذي يرمي اليه الكاتب بخفة ومهارة دون ان يجهر بالناداة به ، فلا معنى للوعظ المنبري في القصص ، وللقصة بعد ذلك ان تتخذ الشكل الذي يلائم الموضوع ، وسياق القصة امر ثانوي ما دامت اغراضها قد توفرت لها . ويضيف عيسى عبيد (٤) ، ان مما حملته على المثابرة على طبع مؤلفاته في تلك الازمة الشديدة وكساد سوق الادب وانشغال الرأي العام بالسياسة ، وغبته الشديدة في ايجاد ادب مصري موسوم بطابع شخصية الامة المصرية حتى تعد امتنا من الامم المستقلة الراقية مهما كان نظامها السياسي لان الاداب معيار رقي الامة .

(٢) مقدمة « ثريا » .

(٣) فجر القصة المصرية للبحي حقي .

(٤) مقدمة ثريا .

كثيرا ما يتوارى عن بقع الضوء جنود مجهولون . وعلى عظم ادوارهم التي يؤدونها ، يقضون حياتهم خلف ستار ، او قل ان الزمن او الظروف تسدل عليها ستر النسيان ، ربما لفترة او لفترات ، وربما الى الابد. الا ان ضمير البشرية دائما يقظ لا يغفل عن روادها وصناع حياتها ، اذ ما يلبث ان يفوض في اعماق التجارب والسنين . . ليعود اليها بهم وفي خطوه يلعب بريق انتصار كانه عثر البشرية على زاد جديد. وعيسى عبيد واحد من اولئك الناس . رائد من رواد قصتنا المصرية الحديثة ، الاوائل . كان قد انحجب عنا زمنا كنا فيه مشغولين بقضايا عديدة لا تنتهي ، نتجت عن انصهارنا في بوتقة الحماس والغبان اناء البحث عن الطريق قبل ان نهتدي اليه اخيرا في ضوء نورتننا المباركة . ثم اذا بالاستاذ يحيى حقي يطل علينا بكتيب صغير كبير ، عن فجر القصة المصرية الحديثة وفيه يفرد فصلا كاملا عن تلك الشخصية الهامة التي تعتبر فعلا دعامة من دعائم قصتنا . والحق ان بعضنا لم يكن ، بالكاد ، يعرف عيسى عبيد ، او على الاقل لم يقرأ له شيئا وان كان فقط ، «يسمع» عنه . وليس من شك في اننا لا نعتبر مقصرين اذ ان مؤلفاته لم تكن قريبة من ايادينا . الى ان تكرم الناقد الاستاذ عباس خضر فبعث لنا تلك الشخصية واطلعنا على دورها في القصة المصرية بمقدمة ضافية كان لها فضل كبير في تفتح اعيننا على اهمية شخصية كعيسى عبيد وشقيقه شحاته .

ولسنا هنا بسبيل التاريخ للقصة المصرية ولكننا نود ان نقصر الحديث على قصة « ثريا » باعتبارها - في تقديري - نقطة انطلاق هامة وبارزة في جذور قصتنا الحديثة . فلو اننا عدنا الى الوراء عبر صفحات التاريخ ، وبالتحديد الى الفترة التي كتبت فيها « ثريا » ، لانتضح لنا انها تعتبر تجربة رائدة سطعت كومضة شعاع انارت الطريق امام القصة الواقعية الحديثة ، ومن ثم حملتها رسالة كبرى وهي الاهتمام بقضايا العصر وانعكاساتها على المجتمع والافراد . حتى ان الاستاذ يحيى حقي يقول « انه لا يعرف احدا غير عيسى عبيد تولى من ذلك العهد مهمة رسم الحدود للقصة الحديثة في مفهومها وموضوعها وشكلها » . ومن الواضح ان عيسى عبيد كان مخلصا في ربطه « بين انتفاضة الامة عام ١٩١٩ من الوجة السياسية بضرورة انبعاثها في انتفاضة مماثلة في الاداب والفنون .

كان عيسى عبيد يتمنى تلك الامنية لان السوق الادبية والفنية في ذلك الوقت كانت فعلا مصابة بالكساد . فاغلب الكتاب المصريين الذين يمارسون الانتاج الفني تاهوا في تهويماتهم الخيالية وابتعدوا بذلك عن الارض التي يقفون عليها . وكذلك الترجمة ، فرقت في اسفاف شديد فكانت تنقل روايات مثل سنكلر وجونسون وطرزان وما الى ذلك من (تلك) الروايات المفعمة بالحوادث الدهشة الرائعة والمفاجآت الغريبة البعيدة عن الحقيقة بعد السماء عن الارض (١) ، مما خلق في ذهن القارئ نوعا من الاعتقاد ابعده عن الفن ، واصابه بالجهل .

وكان من الطبيعي - في جو كهذا - الاتجد قصص عبيد رواج . وقد فسر عيسى عبيد ذلك بسبب الفارق الكبير الذي يفصل قصصه عن الزاد الادبي الذي يقدم للجمهور ، فاذا كان القارئ انذاك يلهث

(١) من مقدمة « ثريا » لعيسى عبيد .

كان ، كثيرا ما تنفسي نزعمة التطلع الطبقي ، بحيث يفني المتظلمون اعوامهم في محاولة التعلق باهداب الطبقات العليا ، وفي الحرص الشديد على الاستمسك بطقوس معينة يمارسها ابناء الطبقات العليا . ومن هنا يتحول المجتمع الى حلبة صراع غير شريف يخفي ابناؤه حقيقتهم خلف اقنعة زائفة ، وتتفسخ العلاقات بين الناس ، وتندم الإنسانية تماما ، وتندم كذلك في النفوس كل الارتياكات العاطفية ولا يبقى بها سوى شيء واحد هو الإيمان بالروح الفردية المقيتة : وتصبح الـ « انا » حلما كبيرا يلهث خلفه الافراد لمحاولة تحقيقه بصورة ترضيهم وتشبع ميولهم . على ان هؤلاء المؤمنين بالانا لو تأملنا تصرفاتهم ودخلنا في اعماقهم لاكتشفنا انهم ضحايا تطلمات طبقية تختلف من شخص لآخر ، ومن بيئة لآخرى . ولو ان نريا - بطله قصتنا - عاشت في مجتمع متواضع الحيوان بسيط التقاليد لما تحولت الى فتاة ضائعة تجري خلف سراب خادع . وعيشا تحاول جاهدة تحقيق حياة قائمة في راسها استمدتها من تلك البيئة التي اوجدتها ظروفها - خطأ - بينها . وهي في سبيل تحقيق تلك الحياة التي تبدو براققة صاخبة رائعة لمن ينظرون اليها - مثل نريا - وهم خارجها ، وان كانت في حقيقة امرها تافهة رخيصة لا قيمة لها ولا هدف منها سوى انفاق وقت ونقود فائضين ... نرى نريا تتمسك بتقاليد اولئك الناس وتتشبث بدقائقها كما لو كانت هذه التقاليد وتلك الدقائق في نظرها هي الحياة التي تهفو اليها ، او كأنها ان نسيت استعمال تلك الطقوس بدت غير بنت الذوات التي صبت نفسها عمدا في اطارها . ان نريا تستعمل الكلمات الفرنسية بكثرة خلال حديثها مع اي مخلوق صحيح انها معذورة في هذا بعض العذر لان ابائها الحقها بمدرسة فرنسية بعد موت امها وهي بعد طفلة لا تعرف الكلام . الا ان ابائها كثيرا ما لامها على هذا الامر بل وانفق من وقته وجهده الساعات الطويلة ليعلمها اللغة العربية حتى تعلمتها ، ومع ذلك ظلت متشبثة باستعمال الكلمات الفرنسية لا لشيء الا لشعورها الداخلي بالخوف من الانفصال عن «الطبقة»

على هذه المفاهيم الرائعة للقصة ورسالتها ، اصدر عيسى عبيد كتابه الاول « احسان هاتم » . والغريب ان ادباء ذلك العصر ونقادهم ، تناوله بعضهم ، اقصد ابدى فيه بعض الملاحظات ، مجرد الملاحظات التي لا تطوي على رأي او معنى سوى النفاهة وعدم الوصول الى شيء ، فقد كانت كلها ملاحظات تنحصر في لومه على تصويره النزعات الجنسية والرغبات النفسية واغراقه في وصف اشخاص النساء مما يبعث - هكذا يقولون - على التقرؤ والفثيان . في حين هم يريدون صورا بريئة طاهرة تبعث في النفس التوق الى الفضائل .

ويؤكد عيسى عبيد انه رد على هؤلاء سلفا في مقدمته لاحسان هاتم شارحا وجهة نظره بان « واجب الكاتب الفنان تصوير الفن من حيث مطابقته للطبيعة لان الفن يجب ان يكون مستقلا ومحررا من كل قيد والفن لا يكون فقط في تصوير الجمال والكمال بل قد يكون احيانا في تصوير عيوب الطبيعة ونقائص المجتمع البشري » . اما موقفه من اولئك الذين نعوا عليه اقتضابه القصص والنقص الذي شعروا به لعدم وقوفهم على تنمة الحوادث ، فهو يرى انهم غافلون عن غايته من كتابة القصص ، تلك التي شرحها في مقدمة احسان هاتم ، بان غايته «تصوير قطعة من الحياة الإنسانية» . غير انه لم يرد ان يتوقف بادية عند هذا الحد فحسب وانما اكد انه قد يتبع في قصص او روايات مقبلة حياة بعض الاشخاص الذين صور صفحة من حياتهم ، اقتداء بمشاهير كتاب فرنسا .

واذا كانت احسان هاتم باكورة انتاج عيسى عبيد لم تلق الراج المنتظر لها ، فلعل من الطريف ان يتحمس لها بعض الاوانس والسيدات لا اكثر . الامر الذي حمل الى الكاتب ، مع رسائلهن اليه ، بعض العزاء حتى انه توجه اليهن بالشكر في نهاية مقدمته لثريا ، مقررًا بانه « لا يسعنا قبل الختام الا اسداء شكرنا لحضرات الاوانس والسيدات الفاضلات اللواتي شجعنا برقيق عباراتهن وعذوبة رسائلهن ، فان هذه العبارات الطليقة الجميلة ملأت نفسنا قوة وايمانا وقضت على الياس الذي اخذ يخامرنا من جراء اعراض الجمهور . فلاجلكن يا سيداتي اقدمنا على جمع هذه الشذرات الإنسانية وقطع الحياة الدامية المتناثرة وكل املنا وغايتنا ان تهز فيك عامل الرحمة على من يوقعه القضاء تحت سلطتك المستبدة الفشومة ! .. »

ولعل الاكثر طرافة هنا ، اننا بازاء كاتب افتقد قراءه الرجال ولم تمنحه ظروف مجتمعه السيئة الا عددا هزليا من القراء السيدات . . . فمال نحوهم يوفق الصلة بينهم وبين ادبه . فيكون عمله التالي مباشرة موضوعا « نسائيا » خالصا بطلته الاولى والاخيرة فتاة هي نريا . والمتأمل لقوله : فلاجلكن يا سيداتي . . الخ ، يجد فيه الدليل الواضح على سخرية الكاتب الريرة من مجتمع هذه حاله . الا اننا مع هذا نلمح بل ونلمس اصرار الكاتب الجاد اذ تجيش بصدده الاف المعاني والخواطر والاشياء الثمينة التي يود ان يهبها للناس ايا كانت مستوياتهم او انواعهم . وعيسى عبيد يبدو هنا واحدا من هؤلاء الكتاب الواعين الذين يدفعهم الصدق والاخلاص الى التشبث باي قارئ يلتقي معه ، رجلا كان او امرأة ، فالهم لديه ان تبلغ رسالته ، وحسب عيسى عبيد انه اطل على فئة من القراء ، صحيح انهم اوانس وسيدات ، الا انهم - وهذا هو المهم - قراء . لا ضمير اذن - وهو الكاتب ذو الرؤية الفنية الشاملة - ان يخاطبهن بادب يتناول ذواتهن . . . وكسب هي حافلة حياتهن بالموضوعات والقضايا الجديرة بالتحليل والمعالجة . وها هو ذا الكاتب يقدم اليهن اولا والينا ثانيا ، بعضها ، وكله امل ، وغايتنا : « ان تهز فيك عامل الرحمة على من يوقعه القضاء تحت سلطتك المستبدة الفشومة ! .. »

وثريا ، واحدة منهم ، او من كثيرات مثلها ممن يحفل بهن مجتمعنا في تلك الفترة العابرة . فترة من تاريخنا كانت الحياة فيها وقفا على طبقة معينة من الناس هي طبقة الاقطاعيين . تلك الطبقة التي شكلت خطرا عظيما على حياة السطاء الفقراء من الكادحين ادى الى غلبان حقيقي مهد لنجاح ثورتنا المباركة . وان الحياة في مثل هذه الفترة في اي مجتمع

* مقبرة العراف

متن النهضة

للطباعة والنشر والنشر

لصاحبها: عبد الرحمن حسن صياوي

اوله مؤسسه ثقافية عراقية تفتتح بنشر
الانوار والمطالعات العربية .
تضمنت نصه عينا من نأسيسترا
المروضات بالكتابات العراقية من عبيد
الارتقانت في البلاغ والاطباء ومبادئ
بمئات اروع الطبوعات .
تعيد كما جميع دور النشر والكتبات
البنائيات في توزيع وترتيب منشوراتها .
تجميع جميع منشورات البلاغ العربية .
زرها مرة لكي يبقوا في الابد .

بنداد - شارع المتنبي - تلفون : ٨٢٦٨٩

التي تنتمي اليها لو هي تغلت من الكلمات التي تتغاطب بها واياهم .
 وابوها ، تاجر ، بورجوازي متوسط مع سبق الاصرار .. فقد كان متجولا
 صغيرا ودفعت احلام الثروة الى فعل المستحيلات حتى اصبح تاجرا
 كبيرا ، لكنه ظل يدين ببعض الولاء لبيئته الاصلية ، التي لم يبق منها
 سوى حزمة من السنين انصرفت في جسد هزيل التي بعيدا عنه في
 القاهرة ، تلك هي شقيقته الست « لبيبة » الخياطة .

والست لبيبة فشلت في زواجها ، اذ حكمت عليها التقاليد البالية
 بان تتزوج رجلا لم يكن لها به علاقة حب او تفاهم او حتى معرفة ،
 واكتشفت فيه شخصا مريضا من ضحايا المجتمع المتفسخ سكيما عريدا ،
 اذاقها مر الليالي ، وعلما السهر لا في انتظار عودته ولكن من اجل تدبير
 مصاريف مزاجه بالعمل في خياطة الملابس . وقد ظلت مع هذا وفيه له
 الى ان توفاه الله بقبولت بلا زواج الى ان ذبلت . غير انها اخيرا عثرت
 على مثال للزوج الطلوبي ، فآثرت ان تعوض تجربتها السابقة وتبعثها من
 جديد حية نابضة ولكن في شخص ابنة شقيقها . كان ذلك الزوج هو
 العامل وديع نعم ، النجار اليدوي الذي سكن في شقة اسفل شقتها
 ورات فيه الاستقامة ودمائة الخلق . وزاد لديها الاحساس به بعد ان
 حدث بينهما الاحتكاك العملي ، فلقد طلبت منه ان يصنع لها « الافامانو »
 فاتجز طلبها ورفض تناول اقل اجرة على عمله ، فاضطرت السيدة ان
 تقدم له مقابل هديته شيئا ثمينا من صنع يدها ، وادى ذلك الى
 صداقتها ، واجتته كابنها ، وصارت خادمتها بتكليف منها تتولى خدمته .
 وعلاقة وديع بثريا بدأت بلقائه « بصورتها » معلقة على حائط
 عمته فانبهر امام روعتها وظل يحرق فيها كأنه يقارن بينها وبين الصورة
 التي يرسمها خياله لزيجة قرر ان يقترب بها اخيرا . وهو رغم انه يعيش
 في هذه الدنيا وحيدا بعد ان توفيت امه قبل ان يتحقق املها فيه بان

يكون كما هو الآن « صناعيا » يقبض مرتبا من الورشة التي الحقته بها
 وهو صبي ، الا انه لم يفكر في الزواج رغبة منه في انشاء أسرة ، وانما
 دهمنه الفكرة كحل ، كمشروع علاج لمرض « النورستانيا » حيث نصحه
 الطبيب الذي عرض نفسه عليه اخيرا بعد انزاله فترة طويلة عن
 المجتمع وانطوائه الشديد على نفسه وعلى وحدته القاسية . وتشاء
 الظروف ان تقع عينه اول ما تقع على .. ثريا . خلبت له « الصورة »
 البراقة واوقعت في قلبه وقعا شديدا الخطورة . ومنذ ان انبأته الست
 لبيبة بانها ستبث في طلب ثريا - اي الاصل - لتجزيه تقضي معها اياما
 تؤنس وحشتها وهو يعد العدة للقاتها ، ويرسم الخطط في ذلك ، وما
 اطرف خطته . لقد وضعها بحيث يبدو في نظرها « شخصية » ذات
 بال وحيثية ، وبماذا ، بنفس المفاهيم التي كانت سائدة وقتذاك ، وبذات
 النظرة التي ينظر بها الناس بعضهم الى بعض . نظر الى نفسه ، ثم ما
 لبث ان اكتشف ان الامر سهل وبسيط ، وميسور كذلك ، فما عليه الا
 ان يسحب مدخراته الفئيلة في دفتر التوفير ، ليشتري بها احترام
 الفتاة له وتقديرها منذ ان يقع بصرها عليه ، ذلك لانه سيتمكن من دعوتها
 على الغداء في محل كبير وفخم ، ثم لا مانع من دورين من البيرة ،
 بالاختصار سيبدو امام ثريا ومن ثم يحظى برضاها ، كان الامر في نظره
 لا يتعدى الثراء ، الثراء وحده هو المبرر لقبوله زوجا لها !

وما كادت خادمة الست لبيبة تزف اليه خبير وصول « ثريا » حتى
 كان في قلب الشقة وهو من فرط الفرح لا يتمالك نفسه . ولحظة ان
 وقع بصره على « الاصل » ثلاثت « الصورة » من ذهنه تماما ..
 وثلاثت معها كل الخطط التي رسمها .. بل وثلاثت كذلك شخصيته
 نفسها .. وضؤل في نظر ثريا ولم يد سوى ذلك الولد الطيب الساذج .
 والحق انه رأى امامه شيئا لا يمكن ان يمت اليه بصلة ، شي من المستحيل
 ان يلتقي به . ان التي امامه ليست بشرا ، انها تمثال رائع من الجمال
 والفننة يذهب العقول وفي ذات الوقت لفز اي لفز ، كل ما يتفوه به
 غير مفهوم لديه . كما وانه هو الآخر بدأ في نظرها تمثالا طيب القلب
 والسرية ، اما كونه يصلح زوجا لها فهذه فكرة ابعدها تماما عن ذهنها
 بل انها استنكرت حتى مجرد التفكير فيه . وكان لرأيها النهائي وقع
 بالغ الاثر في نفس عمته . ولشدة حب العمه لوديع واقترابها منه
 وايمانها به لم تشا مكاشفته حقيقة رأي الفتاة فيه خشية ان تخدش
 كرامته ، وانما اكتفت بجواب متردد القت فيه اللوم على الاب والصقت
 به السبب . ولكن الحال قد بلغ بوديع ذروته ، ولم تعد المسألة لديه
 مجرد رغبة في الزواج يمكن ان تنجح ويمكن ان تفشل ، بل صارت في
 اعماقه شيئا لا بد من تحقيقه لكي تستقيم حياته فيما بعد ، ودخله
 احساس بان بإمكانه مصارعة اية قوة كيما يحصل على تلك الـ « ثريا »
 صحيح انها حلم شاق ، وانه بالنسبة لها ما يزال قزما ضئيلا ، ولكن
 ما المانع في ان تكون له ما دامت هي - وهذا هو المهم - لا تمنع في
 قبوله . السببان في ايها . حسن ، فيذهب خلفها الى الاسكندرية
 ويحطم ذلك السد المنيع الذي يحول بينه وبينها . لسوف يحجمها ويحجم
 سعادت بجانها من اي قوة في الوجود تبعدها عنه او تبعده عنها ، انها
 حلمه ، خياله ، شفاؤه ، بل ان حياته بكل حذافيرها اصبحت فيها هي
 ولا بد ان يعيشها مهما كلفه الامر .. هكذا اندفع مقرر امام العمه التي
 اخذت تستحلفه الا يفعل شيئا من هذا . فادرك الفتى من فوره سر
 الكارثة .

ولكم كانت رائحة تلك اللبسة المبقرية التي شكلت موقفا دراميا
 في غاية الأهمية احاط الكاتب بكل دقائقه في حلق ومهارة . فنحن في
 تتبعنا لتكوينات شخصية ودبع ولذفاتق حياته وتطورها منذ كان طفلا
 صغيرا لا يتعدى حلمه « بومية » يقبضها ويبطها لامة تنفقها على حياتها ،
 الى تطلعه الشاق الى تلك الـ « ثريا » التي توهم ان فيها حياته كما
 يهوى ويشتهي وهو لا يعلم انها ربما تكون وبالا عليه .

لم يكن من الغريب ان ترفضه ، هو الذي لا يرقى الى مستوى
 تطلعاتها . ان الغريب حقا هو ان كلا التطلعين واحد ، كلاهما غبي ،
 اجوف ، غير ميطن بقيمة ، اللهم الا انراض الذاتية الشخصية التي لا

واخيرا صدرت

الاجزاء الاربعة من
شبح العربي

• ماذا كان العرشيون مبداءه نابليون
 المؤلمة من تاوربا حامية بالشام والحرب
 بالشرق منه واستبداده في الحركة العظيمة التي
 اسلمت لها يهود فيرويل وشرك . فانك ستعرف قصة
 حمر المختار وفضائله الى آخره من رسم ما يرت
 ملك العجمان واليهودك لغرضه عندما فتح تياره وشاره
 بكلمة . ودرهم فتح منقذ نابليون واستلامه للعالم بكلمة .

• ماذا كان يوم ميلادهم لوروش بأثر زورطوك حارثة بالغ
 • مما صرف عنه . فانك ستعرف قصة العفيرة صيد الجزار التي الذي لوزان
 على نيساليا في بارتين رأسك كعربي .

• ماذا كان الظلام أظمرها فأن سينا في روضها ترحم ال سنة فنادت عن الضابط الاطالقي
 ورفاته الذين اختلفوا وهو صليبي . فانك ستعرف قصة العثمان العرب الذين اختلفوا وعلماءهم
 ادمام فيصل آل سعود الاول من معتقدن القاهرة كما ستعرف قصة العفيرة صيد الجزار .

• ماذا كان جود كذبي بلغها رايها صبا بالاشارة الأدبية والفكرية من قمر درهم جسدك ولان كذا أسماء
 • صورها الطويلة . فانك ستعرف حقل لغنا لغرضه ما لاشية في فصل الجزار الأدبية والفكرية والصور ما لوكه كعربي
 مع جني ملته .

طلب من
المكتبات في
البلاد العربية

يطلب من دار الكاتب العربي في بيروت
 ومن المكتبات الكبرى في البلاد العربية
 ثم الاجزاء الاربعة 19 ليرة لبنانية او ما يعادلها

تعني سوى تحقيق الـ « انا » . وان كان ثمة فرق بين تطلعا وتطلعه فلعلمه في صدق الفتى في ارتباطه العاطفي بها بوصفه طيب القلب سليم النية والطوية ، بينما هي تريد اقتحام الحياة التي تصبو اليها ، من اي باب يصادفها وتراه مطلا على الثروة .

وها نحن نرى اخلاص وديع لم يتزعزع ، ولم يهبط حماسه امام توسلات العمة . فيسافر ليبحث عنها على شواطئ الاسكندرية . والجدير بالملاحظة انه التقى بها هناك وهي تمد الشباك لاصطياد نسمة هبت عليها آتية من « العلالى » ولكنها كانت نسمة سخيقة بعض الشيء وثقيلة ، متجسدة في شخص « احمد بك » ابن احد الاثرياء الكبار ذوي الحيشات في الدولة وفي سياسة الدولة ، وقد دفعه اشتهاؤه لهذا الجسد اللدن الرائع ان يتودد اليها بكلمات طرورية انتشت لوقعها الفتاة . وكانت انفاسه الملوثة باغراضه الخبيثة تكون ابتسامته اللزجة المعلقة على شفتيه بلون شاحب مقزز . وفجأة ، هبت من الخلف انفاس الصديق والعاطفة المشبوبة صادرة من اعماق ملؤها الصفاء والمحبة ، تجسدت في عبارات خشنة غير منمقة ، متعثرة في التعبير عما يجيش به صدر صاحبها . .

نطق بها وديع مناديا ثريا .
انزلت الفتاة لحظتها بين قوتين متضادتين . الاولى يشكلها ذلك التعبير الملهب البراق المنطلق ، الزيف . والثانية يشكلها تعبير خشن منفر متعثر ، ولكنه صادق كل الصدق . وكان من الطبيعي ان تكون الغلبة للقوة الزيفة الخادعة ، فالبريق دائما يخطف الابصار ، وبطلة قصتنا لم ينخطف بصرها فحسب وانما هي كالفراشة القت نفسها في الضوء وفي غيها ان تكون قبسا منه . وقد انسلخت ثريا من الموقف المفاجيء برهة جزعت لقدمها ، وانفلتت تتصنع البشاشة ، مرحبة بوديع الذي كان يجاهد لحظتها ليكشف عن نفسه بشتى الانفعالات والتصرفات المكبوتة على جمر من النار . وفي كلمة ونصف كانت قد سلمت وايدت شوقها وبعثت السلام الى عمتها واستاذنت وشرعت تجري خلف الامل المنشود الذي اضطر الى الانصراف ، قبل ان يغيب عنها .

وعاد وديع يتعثر في كارثة : هم وغم وغلب . . وطاقت من الالم تنفجر من اعماقه وتحدث دوبا هائلا . انه دميم الخلقة ، مشوه الجسد بعض الشيء ، وقد كان يتوق الى لسة جمال ، جمال من اي نوع كان ، حتى لو استنطاع ايجادها في قطعة خشب بين يديه اذن لسواها ومعناها وظل يغوص في اعماقها بكل الاساليب كما تتحول الى شيء جميل . فما بالك والجمال كله كان على وشك ان يمتلكه بين يديه . اه . . ما بال الجمال ينفر منه ، الان شكله منفر حقيقة ؟ . . الى هذا الحد اذن؟

اخلت الايام تمر عليه ثقيلة مضنية . اما العمة فقد اصيبت بما يشبه الياس التام من ابنة اخيها التي اعتبرتها في حكم المنتهية بعد ان رفضت وديعا . وكانت هي في الاسكندرية قد وثقت صلتها باحمد بك واحكمت حوله الشباك وزاغت منه وقهرته حتى جذبته الى المآذون . وسجل المآذون عقد قرانها ، وسجلت اللحظة عقد نهاية مدة اقامة ابيها في الحياة . . فذهب غير راض عن هذه البنت المارقة . واشتد الحال سوءا بهم كلهم . فوديع لم يكن ليستطيع الصبر على ما هو فيه . والعمة استيقظت اخيرا بعدما علمت بما تعانیه البنت من ضياع وانسيان نحو الجهول الفامض وقد اصبحت وحدها ، حتى زوجها نفسه تأكد لديهم انه غير موثوق فيه البتة ليملا اي شيء فضلا عن ان يملا فراغا ما ، فهو مجرد ريشة في مهبريح تحركها كيف تشاء ، لا وزن له ولا قيمة على الاطلاق ، كتلة انمية لا عمل لها سوى الاستفراق في البحث والتنقيب عما يسفح الوقت باي ثمن وعلى اي حساب . واحس وديع بمأساتها ، فشد رحاله مرة اخرى ليبحث عنها . وهناك ، على الشاطئ وامام الكابيين ، لح طيفها من الشباك فاخذ قلبه حينئذ « يخفق خفقانا شديدا متواليا ، وكانت الحفقات تحتضر بشدة في حنجرتة ، ثم رأى احمد بك يتأبط ذراعها ويسيران في طرقات الحديقة الجميلة ، وكانما اراد ان يختلس منها قبلة فصغتمه برقة على خده وولت هاربة عنه بوجهها ، فادرك وديع نعوم ان احمد بك ما زال يحبها وانها لم تستسلم اليه استسلاما يقضي بسرعة على حبه ويخمد حواسه ، فنزل هنا وديع من

جدار السور مطمئنا مرتاحا صانحا : انه لن يطلقها قبل سنتين . . وساكون غنيا في هذه المدة فلن ادعها تشقى ، ورجع الى مصر وفتح له ورشة كبيرة واخذ يجد ويسعى بنشاط مدهش سعيا وراء الثروة » .
ولو لم يصف الكاتب هذه الجملة الاخيرة : « واخذ يسعى بجد ونشاط مدهش سعيا وراء الثروة » لتغير مفهوم القصة تماما . ولكنه بهذه الجملة - في تقديري - يؤكد ما ذهب اليه في اول القصة ويحدد او بمعنى ادق يترك بطل قصته يحدد ، موقفه من الحياة المحيطة به . فوديع هذا ما هو الا بذرة طيبة صادقة لعامل باليومية منتهى امله ان يعيش مستريحا وبين يديه كل متطلباته ، وهو في سبيل هذا ، وفي سبيل هذا فقط ، يعمل مخلصا جاهدا كيما يحقق تلك الامنية يوما بعد يوم . . وهكذا لا يحيد عن نفسه ولا يتجد عنه نفسه ، وحسب اجتهاده تتحقق امنياته . وليس ما يمنع ان يتدخل في حياة وديع او في حياة اي انسان ، حادث مثل حادث ثريا ينتهي نفس النهاية ويكون حافظا على الاجتهاد الشريف كيما يصنع من نفسه شيئا ذا بال ، وربما ، في زحمة الحياة ، تستقرقه رغبته في تحقيق ذاته فتتسبب كل شيء وتتحوّل ايامه باحداثها الى ذكريات باهتة وتكون ثريا ، او غيرها ، قوة دافعة للنجاح والتقدم . الا ان الكاتب في قصتنا بجملته الاخيرة : « سعيا وراء الثروة » يحدد بصراحة متناهية ان بطله قد تحول تحولا تاما عن الاتجاه الذي كان يسير نحوه من قبل . وشاء - بارادته - ان « يحصل » على الثروة . وغني عن التفسير ادراك مدى خطورة اتجاه كهذا . ولكن ابسط الامور ان الثروة حينما تتحول الى حلم لا بد من تحقيقه . .

يذهب في سبيلها كل شيء عزيز يمتلكه الانسان .
لكاني بالكاتب ها هنا يضع امام اعيننا « وثيقة » تدين الوضع وتنعى انهيار المجتمع وتفسخه حينذاك . فليس احق بالنعي من مجتمع تزور ظروفه القائمة في قلوب ابناؤه شهوة امتلاك الثروة ، مجرد امتلاكها لا اكثر .

وهذه القصة التي كتبها عيسى عبيد في يولييه ١٩٢٢ ، لتدل دلالة واضحة على انه فعلا كاتب ذو هدف ، ورسالة ، وانه كان بسبيل تحقيق رغبته الشديدة في « ايجاد ادب مصري موسوم بطابع شخصية الامة المصرية حتى تعد امتنا من الامم المستقلة الراقية مهما كان نظامها السياسي » . ومما لا شك فيه ان الضمير الادبي - في رأيي - يكرم هذه التجربة الرائدة . ان قصة كهذه تكتب في ذلك الوقت ، لهي طاقات جبارة من طاقات النور في فجر قصتنا المصرية الحديثة .

خيرى شلبي

في السودان

اطلبوا

« الاداب » و« منشورات » « دار الاداب »

من مكتبة الاداب

لصاحبها الاستاذ التيجاني عامر

ام درمان - شارع الاشيبالية الملكية